

# العمل الإيجابي من حيث العلوم الإسلامية في ضوء رسائل النور

الدكتور محمد مسيح الرحمن الندوي  
أستاذ مشارك ورئيس قسم اللغة العربية وآدابه  
الجامعة العالية كولكاتا، الهند

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن الإنسان لا يزال يحاول أن تكون حياته وحياته من يعيش حوله مليئة بالسعادة والخير والنجاح المتواصل في جميع مجالات الحياة، لذا عليه أن يمارس ليحصل على الخير والمصالح المادية والمعنوية، وأن يدفع عنه الاضرار والمفاسد، وذلك يمكن بتبني منهج فكري سليم عن نفسه وعن مجتمعه وعن الحياة بصفة عامة، وأن يدرب نفسه على التخلص عن الأفكار السلبية التي تحد من قدراته، والتي تضع جهوده في سبيل تحقيق ما يصبو إليه من أهداف في حياته، وذلك لا يمكن إلا إذا اخذت المناهج الفكرية الإيجابية وبها يمكن صيانة النفس والمجتمع عن الأقدار وسوء الاخلاق، ويتدرّب ليتخلّى عن الافكار والأعمال السلبية التي تفتّر همته وقوته وتضع جهوده سدى في سبيل الرقي والإزدهار والنمو والحضارة. "ومن هنا تدرك أهمية التفكير الإيجابي فالإنسان يستطيع أن يقرر طريقة تفكيره فإذا اخترت أن تفكر بإيجابية تستطيع أن تزيل الكثير من المشاعر الغير مرغوب بها و التي ربما تعيقك من تحقيق الأفضل لنفسك"<sup>(١)</sup>.

فيلزم بنا أن نقف على التغيرات التي تحدث في داخلنا، وفي سبيلنا للتفكير والوعي وبها

---

(١) تنظيم وتفعيل الذات، كيت كينان ص: ٥١.

تحدث ثورات عقلية، وتميز بها الحياة هل تكون سعيدة أو شقية.

ويجدر بنا أن نتعرف على الإيجابية: الإيجابية هي المحافظة على التوازن السليم في إدراك مختلف المشكلات، وهي: أسلوب متكامل في الحياة، ويعني التركيز على الإيجابيات في أي موقف بدلاً من التركيز على السلبيات، إنه يعني أن تحسن ظنك بذاتك، وأن تظن خيراً في الآخرين، وأن تبني الأسلوب الأمثل في الحياة<sup>(١)</sup>.

وكذلك الإيجابية هي وسيلة عظيمة لتنهض بها الأقطام و الأمم مع أن السلبية داهية كبرى، وآفة عظيمة للفرد والمجتمع، والحقيقة الناصعة هي أن نخوض الأمم وهبوطها منوط بأفراد وأشخاص إيجابيين أو سلبيين فالذين يحملون الفكرة العالية والإرادة الكبيرة وهم مصلحون لمجتمعهم وبيئتهم فلا يمكن الدمار والحزب لمثل هذا المجتمع و البيئة يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ولم يقل صالحون إنما قال مصلحون، وهناك فارق بين صالح ومصلح فالصالح صلاحه بينه وبين ربه، وأما المصلح فانه يقوم بإصلاح نفسه ودعوة غيره.

وللإيجابية فوائد جمة في حياة الفرد والمجتمع والدولة، الفرد المسلم الإيجابي دائماً يفكر في حل المشاكل والمصائب عندما تعرضت له وهو على يقين تام بأن لكل مشكلة حل، وأما الشخص الذي دائماً يفكر لذاته ونفسه وله فكرة سلبية فيرى أن لكل مشكلة ليس لها حل، بل في كل حل يجد مشاكل ومصائب، المسلم الإيجابي يرى في العمل والجد أملاً لحل مشاكله، والشخص السلبي يرى في العمل آماً ومصيبة والمسلم الإيجابي ينظر إلى المستقبل والسلبي يخاف من المستقبل.

قسمت الموضوع إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: المقدمة:

المحور الثاني: العمل الإيجابي في تعليمات القرآن الكريم:

المحور الثالث: العمل الإيجابي في إرشادات الرسول ﷺ:

المحور الرابع: نظرية الإمام النورسي حول العمل الإيجابي:

المحور الخامس: خلاصة البحث:

(١) التفكير الإيجابي، ضمن سلسلة مهارات الحياة المتلي ص: ٦.

(٢) سورة الهود: ١١٧.

## المحور الثاني: العمل الإيجابي في تعليمات القرآن الكريم:

أود أن أشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> فهذه الآية تخبرنا بأن المؤمن يفرح برحمة الله تعالى دائماً، هذا الفرح هو نوع من أنواع السلوك الإيجابي وهو نوع من أنواع التفاؤل الذي يمنح المؤمن السعادة وطول العمر ويزيد من مناعة جسده ضد الأمراض.

يقول الدكتور جلين أوستير رئيس فريق البحث: أعتقد أن هناك علاقة بين العقل والجسم حيث أن أفكارنا وسلوكنا ومشاعرنا تؤثر على الوظائف البدنية وعلى الصحة بشكل عام، إما عن طرق آليات مباشرة مثل وظائف جهاز المناعة، أو عن طريق آليات غير مباشرة مثل شبكات الدعم الاجتماعية.

وقد أدرك العلماء المعاصرون أهمية الصبر بأنه سلوك إيجابي عظيم ولكن الله تعالى جعل جزاءه دخول الجنة بغير حساب، وانظر إلى هذا الوعد الإلهي الرائع: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك فإن القرآن يخبرنا بأن المؤمن لا يحزن أبداً لأن الحزن سلوك سلبي، ولو تأملنا كلمة (تحزن) في القرآن وجدناها مسبوقة بكلمة (لا) دائماً، وهذا يدل على أن المؤمن لا يحزن، انظر إلى هذه الكلمات النبوية التي جاءت في أصعب الظروف التي مر بها النبي الأعظم ﷺ وهو في الغار، يقول تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٣)</sup> انظر كيف علم النبي سيدنا أبا بكر ﷺ ألا يحزن، والله إن هذا الكلام لا يصدر إلا من نبي صادق يعلم أنه مرسل من خالق الكون سبحانه وتعالى.

وهناك آية أخرى تمنع المؤمنين عن الحزن والهم والأسى وتبعث في قلوبهم الثقة بالنفس والإيجابية يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. إنها آية تحث المؤمن على السلوك الإيجابي في عدم الوهن وعدم الحزن، ويقول العلماء إن إحساس الإنسان بالوهن يضعف من جهاز المناعة لديه، كذلك شعور الإنسان بالحزن الدائم لديه

(١) سورة يونس: ٥٨.

(٢) سورة الزمر: ١٠.

(٣) سورة التوبة: ٤٠.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٩.

يسبب له الاضطرابات النفسية المختلفة.

وهذا يعني أن العامل النفسي أهم بكثير من العامل الفيزيولوجي، بمعنى آخر فإن التعاليم الإيجابية التي يتلقاها الإنسان ويمارسها لها أثر كبير على سعادته وطول عمره أكثر من تأثير الدواء والعناية الطبية! ولذلك فإن القرآن مليء بالتعاليم الإيجابية والتي لا يتسع لها هذا البحث، لكن كمثال على ذلك نتأمل قوله تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم"<sup>(١)</sup> إنها آية مفعمة بالرحمة، ومليئة بالتفاؤل وعدم اليأس، وهذا يذكرني بقصة سيدنا يعقوب بعدما فقد ابنه يوسف وأخاه، فلم ييأس من رحمة الله، فتأمل كيف خاطب أبناءه: "يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون"<sup>(٢)</sup> فلنتدبر كيف ذكر القرآن أن اليأس هو كفر بالله تعالى! لماذا ليعطينا رسالة قوية بأن اليأس من رحمة الله محرم في الإسلام، وهذا ما مارسه المسلمون الأوائل فمنحهم القوة وفتحوا به الدنيا!

إن كل ما سبق تلخصه لنا آية عظيمة خاطب بها الله نبيه وليعلمنا كيف نسلك سلوكاً إيجابياً في حياتنا، يقول تعالى: "واصبر و ما صبرك إلا بالله و لا تحزن عليهم و لا تك في ضيق مما يمكرون"<sup>(٣)</sup>. الصبر وعدم الحزن وعدم التذمر والضيق، كل هذا له نتيجة و لكن ما هي؟ هذا ما نجد الجواب عنه في الآية التالية: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"<sup>(٤)</sup> فهل هناك أجمل من أن يكون الله معك دائماً؟!

### المحور الثالث العمل الإيجابي في إرشادات الرسول ﷺ:

واهتم الرسول ﷺ إختيار المواقف الإيجابية البناءة التي يتخذها أناس غير مسلمين في عصره، فكان يرغب إختيارها ويحث عليها الآخرين لاتخاذ تلك المواقف، ويؤكد على المسلمين بأن يبادروا إتخاذ المواقف والأعمال الإيجابية مصدرها أيا كان، مثل حادث حلف الفضول إهتم بمناسبته إغاثة الملهوفين وإعانة المظلومين، ورد الأعداء والظالمين، وبهذه المناسبة

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) سورة يوسف: ٨٧.

(٣) سورة النحل: ١٢٧.

(٤) سورة النحل: ١٢٨.

قال النبي ﷺ: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي حمر النعم و لو أدعي به في الإسلام لأجبت"<sup>(١)</sup>.

وكان من صفات النبي ﷺ أن ينفع الناس دائماً حتى قبل البعثة ودائماً كان يفكر في إصلاح الناس ولذلك لقبوه الناس بالأمين الصادق، فحينما جاء عليه الوحي أول مرة خاف على نفسه واضطر اضطراراً شديداً فطمأنه زوجته خديجة قائلة: "كلا و الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"<sup>(٢)</sup>.

ومعنى "تحمل الكلّ" يدخل في هذا الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك و هو من الكلال و هو الإعياء، أما قولها "وتكسب المعدوم" تكسب غيرك المال المعدوم أو تعطيه إياه تبرعاً. "تقري الضيف" تكرمه يقال للطعام المقدم للضيف قرا. "وتعين على نوائب الحق" جمع نائبة و هي الحادثة ما يحدث في الناس من المصائب.

وكما في قصة مساعدة النبي ﷺ لبدوي غير مسلم ليسترجع ديناً له من أبي جهل رأس الكفر، فلم يمنع عدم إسلام الطرفين من بذل الجهد في عمل إيجابي وليست المسألة مقتصرة على من تعرف أو من يتفق في المبدأ، بل كان توجيه رسول الله ﷺ: "الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله" (رواه الطبراني) قول الحسن البصري رحمه الله: "لأن أفضى حاجة لأخ أحب إليّ من أن أصلي ألف ركعة، ولأن أفضى حاجة لأخ أحب إليّ من أن أعتكف شهرين"<sup>(٣)</sup>.

لذلك جاءت الأحاديث الشريفة لترسيخ الهوية الإيجابية وربطت كثيراً من أعمال الإنسان بما فمن ذلك قوله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده"<sup>(٤)</sup>.

ويرسخ النبي ﷺ الهوية الإيجابية عند النفس المؤمنة من خلال ما يصدر عنها من أفعال ينبغي أن تطابق ما دلت عليه الهوية التي يحملها المؤمن فعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله

(١) رواه البيهقي: رقم الحديث: ١٢١١٠

(٢) رواه مسلم باب بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. ١٦٠

(٣) قضاء الحوائج، ابن أبي الدنيا ص: ٤٨

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ١٠ و مسلم في صحيحه رقم ٤١

واليوم الآخر فليكرم ضيفه" (١).

ويذهب النبي ﷺ إلى ترسيخ الهوية الإيجابية في أدنى درجاتها ولذلك بحثه لأتباعه من المسلمين بأن يكف الواحد منهم شره عن الناس (السلوك السلبي) إذا لم يكن قادراً على عمل الخير لنفسه أو لغيره (السلوك الإيجابي) فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: "الإيمان بالله، والجهاد في سبيله، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق، قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك" (٢).

فجعل النبي ﷺ الكف عن السلوك السلبي في حال عدم القدرة على السلوك الإيجابي من أفضل الأعمال. وفي سبيل ترسيخ أدنى هذه المراتب يقول ﷺ: "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (٣).

قال النووي في شرح الحديث: "أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان يتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه واجباً أو مندوباً فليتكلم وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين فعلى هذا يكون الكلام مأموراً بتركه مندوباً إلى الإمساك عنه مخافة من إنجراره إلى المحرم أو المكروه وهذا يقع في العادة كثيراً أو غالباً" (٤).

نجد أن النبي ﷺ دائماً يمنع أتباعه وصحابته باتخاذ السلوكيات والأعمال السلبية وينبههم إنها تنافي كمال إستحقاق الهوية الإيجابية البناءة، وفيها قول النبي ﷺ: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه" (٥) (بوائقه أي غوائله ومضاره، مشارق النور ١/٧٥).

وهناك نتذكر حديثاً نبوياً رائعاً ومليئاً بالتعاليم الإيجابية يقول ﷺ: "المؤمن القوي خير

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٥٦٧٢ و مسلم في صحيحه رقم ٤٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٥٦٧٢ و مسلم في صحيحه رقم ٤٨.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩/٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٥٦٧٠.

وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"<sup>(١)</sup>. فهذا يحث المؤمن على أن يكون قوياً ليس في جسده فقط بل في إيمانه وثقافته وأخلاقه وصره. ويقول علماء الصحة أن الفكرة الإيجابية والطبيعة البناءة تقبل في الشيخوخة عمليات كثيرة ذات طابع فيزيولوجية كخفض ضغط الدم والكوليسترول، وبها يحصل الإطمئنان القلبي و الفكري فيعيش الإنسان بطمانيئة القلب والنفس أكثر من السلبية. هكذا جعل الرسول ﷺ السلوك السليبي مناقضاً للهوية الإيجابية للمؤمن الصادق في إيمانه.

وتوضح السنة النبوية أن دائرة تأثير الاسم إيجابياً أو سلبياً تتوسع حتى تشمل القبيلة بأسرها فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: "غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، وعصية عصت الله ورسوله"<sup>(٢)</sup> قال المناوي في شرح الحديث: ومن تأمل معاني السنة وجد معاني الأسماء مرتبطة بمسمياتها حتى كأن معانيها مأخوذة منها وكأن الأسماء مشتقة منها"<sup>(٣)</sup>.

وجاءت عدة أحاديث قام النبي ﷺ فيها بتغيير الأسماء ذات الدلالات السلبية إلى أسماء ذات دلالات إيجابية و من ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمر: "أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية و قال: أنت جميلة"<sup>(٤)</sup>.

وكذلك حث النبي ﷺ إلى التسمي بأسماء ذات دلالات إيجابية يعزز التسمي بها ويرسخ الهوية الإيجابية لمن يتسمى بها فقال ﷺ: "أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث وهمام"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم: "وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين الله إنما هو العبودية المحضنة والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضنة فبرحمته كان وجوده وكمال وجوده والغاية

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر-٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٣٣٢٢، ومسلم في صحيحه رقم ٩٧٩.

(٣) قيض القدير ١/٢٣٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٢١٣٩.

(٥) أخرجه أبو داؤد في سننه رقم ٤٩٥٠، والإمام أحمد في مسنده رقم ١٩٠٥٤، والبخاري في الأدب

المفرد رقم ٨١٤، وقال الألباني: صحيح، صحيح الكلم الطيب رقم ٢١٨.

التي أوجده لأجلها أن يتأله له وحده محبةً وخوفاً ورجاءً وإجلالاً وتعظيماً فيكون عبداً لله وقد عبده لما في إسم الله من معنى الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره ولما غلبت رحمته غضبه وكانت الرحمة أحب إليه من الغضب كان عبد الرحمن أحب إليه.... ولما كان كل عبد متحركاً بالإرادة، والهـم مبدأ الإرادة ويترتب على إرادته حركته وكسبه كان أصدق الإسماء إسم همام وإسم حارث إذ لا ينفك مسماهما عن حقيقة معناهما"<sup>(١)</sup>.

إننا نحن المسلمین علينا أن نتمسك بالإيجابية البناءة ونستفيد من التجارب التي وجدناها في سنة النبي ﷺ. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "يقول الله تعالى: "إنا عند ظن عبدي بي"<sup>(٢)</sup> وفي رواية أخرى للحديث: "إن الله عز وجل قال: "أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله"، قال ابن حجر: "أي قادر على أن أعمل به ما ظن أي عامل به"<sup>(٣)</sup>.

فمن هنا ينبغي على المسلم أن يطور في ذاته قانون التوقع الإيجابي للأمر وأن يحسن ظنه بربه حتى ولو كانت الظروف المحيطة به في غاية الصعوبة و السوء ولا تحمل في طياتها من النظرة الأولى أية بشائر خير أو انفراج في أزمة يمر بها الإنسان ولنا في نبي الرحمة أسوة حسنة فعندما ضاقت به الأرض من تكذيب الناس له وردهم لدعوته لم تؤثر عليه تلك الظروف الصعبة أو تلجئه لأن يسلك سبيل الظن السيئ بهم أو السير في متاهات التوقع السلبي للأمر في مستقبل الأيام بل كان حسن الظن بربه، واستخدم التوقع الإيجابي لمستقبل من كذبه وطرده وآذاه، وقد تحقق توقعه الإيجابي بعد مدة من الزمن فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني فنظرت فإذا فيها جبرئيل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال

(١) زاد المعاد ٢/٣٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٦٩٧٠، ومسلم في صحيحه رقم ٢٦٧٥.

(٣) فتح الباري ١٣/٣٨٥.

فسلم علي، ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" (١).

فالأستاذ النورسي قد واجهه بابتسامة مؤلمة لا غير كل ما لاقى من التعذيب والظلم، وما كيد له من المكائد الشيطانية لأجل دفعه إلى القيام بحركة سلبية. وقد استكمل مسيرته السامية لأجل إنقاذ إيمان البشرية جمعاء، وحتى الذين ظلموه، قابلهم بضبط النفس والأناة، ودون أن يتزعزع ويتصرف بعداء وشحناء.

### المحور الرابع نظرية الإمام النورسي حول العمل الإيجابي:

وكان للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي مكانة مرموقة بين العلماء العظام الذين أصبحوا مظهراً للحديث النبوي الشريف "العلماء ورثة الأنبياء" (٢) بكل معنى الكلمة. درس الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في الجهاد الداخلي له حقيقة ووزن حيث يقول الأستاذ: "يصد التعدي الخارجي بالقوة، لأن أموال الأعداء وأبناءهم غنيمة، أما في الداخل فليس كذلك، بل هو عمل إيجابي معنوي ببناء يعمر بالإخلاص ما هدم، فالجهاد الخارجي يختلف تماماً عن الجهاد الداخلي" (٣).

وقد تحمل الإمام الشدائد والمصائب في سبيل دعوة الإيمان هي من سنة رسول الله ﷺ، وطبق هذه السنة بأكمل وجه. فلقد قذف الرسول ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين يوم طائف بالحجارة حتى جرح من مئة وأربعة عشر موضعاً، ولم يدعو على أحد ممن قذفه بالسوء، بل قال "ياربي إنهم أناس لا يعلمون" ودعا لهم بالهداية، وقد سار وارثه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في هذا العصر العصيب المفجع على ما سار عليه الرسول الكريم ﷺ، وقال في حق كل من ظلمه وأبغض حقه "لما كانت "الشفقة" دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم بل أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم" (٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٣٠٥٩، ومسلم في صحيحه رقم ١٧٩٥.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن ماجه، وابو داوود، والدارمي.

(٣) سيرة ذاتية ص ٤٧٠.

(٤) سيرة ذاتية، ص ٣٦١.

وكان الإمام أدى دوراً هاماً في سبيل وحدة المسلمين العالمين في مجال الخدمة الإسلامية بمناهج متعددة وأساليب متنوعة في أنحاء العالم كله، وقد وقف حول هذه النقطة المهمة وأكد تأكيداً بالغاً، وسعى ليمنع تحول اختلاف المشارب والمناهج الدعوية إلى العداة والتخاصم، أود نقل النقاط الثلاثة الأوائل من الأمور البالغ عددها تسعة أمور كالأتي:

**النقطة الأولى:** العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداة الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا يشغل بهم أصلاً.

**النقطة الثانية:** بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام- مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

**النقطة الثالثة:** واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، و لكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "إن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها<sup>(١)</sup>.

كان العمل الإيجابي آخر ما تحدث فيه بديع الزمان سعيد النورسي قبل وفاته على طلبة النور:

### إخواني الأعزاء!

إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء و ليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. أننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي.

أقول متخذاً من نفسي مثلاً: إنني لم أنحن تجاه التحكم والتسلط منذ القدم. وهذا ثابت بكثير من الحوادث. فمثلاً: عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أعر آية أهمية على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذي كان يهددني بالشنق و

(١) المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٤٢.

الإعدام. وطوري هذا تجاه القواد الأربعة تبين عدم قبولي للتحكم والتسلط. إلا أنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى و القبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألا أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله. بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل اقتداءً بنبي الله جرجيس عليه السلام وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيراً في غزوة بدر وغزوة أحد<sup>(١)</sup>.

فهذا الأستاذ العظيم الذي حمل على عاتقه معنىً وظيفته التبليغ والإرشاد للوقوف حيال حركات الإفساد التي لم تشاهد لها مثيل في التاريخ ألقى دروساً قيمة لدفع الشبهات، ورفع إيمان المؤمنين من التقليد إلى مستوى التحقيق من ناحية ومن ناحية أخرى بيّن للمسلمين كيفية السير في دروب وعرة، مليئة بالألغام والأشواك والدواهي من خلال ما سطر من الرسائل والملاحق.

### إخواني!

إن مرضي قد اشتد كثيراً. ولعلي أتوفى قريباً، أو أمنع من المكاملة كلياً— كما كنت أمنع أحياناً منها— لذا فعلي إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، و ليعدوها من قبيل أهون الشرين. و ليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً، لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا، ولأن العمل السلبي في الداخل لا يغتفر، ومادام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مساحون قليلاً لذا انظروا إليهم كاهون الشرين، ومن أجل التخلص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا أن تنفعوهم. وكذا إن الجهاد المعنوي في الداخل هو العمل ضد التخريبات المعنوية وإنه ليس مادياً قط، وإنما يستوجب القيام بخدمات معنوية لذا فكما لم نتدخل بأمور أهل السياسة، فلا يحق لأهل السياسة أن ينشغلوا بنا.

لقد أرسى بديع الزمان مسلكه على أسس صلبة، فالطريق الذي اختطه طريق حكيم وملائم للفطرة، فقد بدأ بالزم شيء للإنسان، فدعا البشر إلى "التوحيد". وبعد أن جعل منتسبي طريقه يبرون من مراحل انتقاله في الفكر والقلب والروح، جعلهم يتجولون في الآفاق الرحبة للفكر والتأمل، فتشكلت منهم جماعة حصينة وكاملة، واستخدم الحكمة والكلمة

(١) سيرة ذاتية ص ٤٦٩.

الليننة واللسان العذب في تبليغ دعوته، وم يلتفت أو يتهم أبدا بالأسلوب الحشن الحاد وبالأسلوب الهدام المخرب، واستمر في دعوته بصبر وجلد، وتحمل كل الآلام دون خوف ودون استسلام ودون التحلي عن أسلوبه الإيجابي في التصرف.

فإنه من الواضح في وقتنا الحاضر تلك الأصوات التي تنادي بضرورة التعايش السلمي وتحديد الخطاب الديني لإيجاد حوار حقيقي بين الحضارات والأديان والمذاهب، وتحديد العلاقة بين الحضارات واستغلال التنوع الثقافي باعتباره قوة محركة للتفاهم والتنمية والتعايش السلمي بين الأمم.

إن الحضارة الإسلامية اتسمت بتعاملها الإيجابي مع التعدد والتنوع في الدولة الإسلامية، حيث عمل المسلمون على وحدة قائمة على التنوع والقبول به باعتباره فطرة إنسانية، وخلق إسلامي ومظهر إيجابي من مظاهر الإسلام الذي يؤكد على قيم الحوار وأدب الخلاف، لما في ذلك من إنصاف للخصم واحترام للرأي الآخر و تفضيل لأسس التنوع الثقافي<sup>(١)</sup>.

### المحور الخامس خلاصة البحث:

بعد هذه الدراسة والتحقيق والبحث عن الآيات القرآنية وأحاديث النبي ﷺ ومقاربة رسائل النور للإمام النورسي، أرى أن التفكير الإيجابي يحمل في طيه أهمية كبرى وبه يمكن الفراغ الهائل في المجتمع باتخاذ العملية الإيجابية حينما كثرت السلبيات، والفرد المسلم خاصة يحتاج إلى اتخاذ هذه المواقف النقط الفكرية والنظرات البناءة السليمة، وأخرجت خلال دراسة هذا البحث عدة نقاط أود أن اذكرها في السطور التالية:

(١) ترسيخ لدى اليقين بأن الخير كل الخير في ما جاء به القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ.  
(٢) أن كل جهد بشري للارتقاء بالإنسان في فكره أو سلوكه له أصل في كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

(٣) أن العمل الإيجابي رافد مهم من روافد تطوير شخصية الفرد المسلم.

---

(١) سيرة ذاتية ص ٤٧٣.

٤) أرى أن تتبنى مؤسسات علمية العمل على تأصيل هذه العلوم الوافدة، حتى يمكن للدعاة و المصلحين أن يخاطبوا الناس بلغة عصرهم، كما خاطب الإمام النورسي في تعامله بواسطة رسائل النور.

٥) تأكد أن التغيير الإيجابي البناء الذي تجريه داخل نفسك سوف يكون له الأثر النافع في شخصيتك وفي كافة نشاطاتك.

٦) إن هذه الإيجابيات في عقولنا ومشاعرنا تصنع في حياتنا الإيجابية، والتفاؤل والطاقة والقدرة على الدفاع عن النفس، وصد الهجوم الذي يصدر إلينا من شياطين الأنس والجن، وأكبر منهما حديث النفس.

٧) عندما نفكر بطريقة إيجابية تنجذب إلينا المواقف الإيجابية، والعكس يحدث عندما نفكر بطريقة سلبية فإننا نحذب إلينا الموقف السلبية.

**والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.**

## المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ)، المكتبة السلفية، القاهرة.
٣. صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤. السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
٥. سنن ابن ماجه: حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، دار الجليل، بيروت.
٦. المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ت (٢٤١هـ)، طبعة المكتب الإسلامي.
٧. سنن الدارمي: تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع.
٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، (١٣٨٠هـ) الطبعة السلفية، القاهرة.
٩. ابن حبان: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
١٠. شرح صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
١١. صحيح الكلم الطيب: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية.
١٢. زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، سيرة نبوية، دار ابن حزم.
١٣. قيض القدير: مكتبة الرشدن بيروت.
١٤. السنن الكبرى للبيهقي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة.
١٥. ابن أبي الدنيا: أبو بكر ابن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣.
١٦. الإنسان والتفكير الإيجابي، د. عيسى الملا، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
١٧. التفكير الإيجابي، فيرا بيفر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، مكتبة جرير، الرياض.
١٨. تنظيم وتفعيل الذات، كيت كينان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، الدار العربية للعلوم، بيروت.
١٩. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت (٢٥٦هـ) الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ). دار البشائر الإسلامية بيروت.

٢٠. سيرة ذاتية، تم النشر قبل 14, October, 2012

٢١. المكتوب الثاني والعشرون

٢٢. الكلمات، مقدمة رسالة المعجزات القرآنية النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢. مقدمة رسالة المعجزات القرآنية.

٢٣. المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢.

٢٤. الشعاعات النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٣. (بتصرف يسير).